

## توعية الأجيال أمانة

كنت في حلقة من حلقات الدرس ؛ أتناول مع طلابي تحليل نص من النصوص الأندلسية في الوصف . فطرحت سؤالاً على الدارسين : ماذا تعرف عن الأندلس ؟ ولم ألق رداً من الطلاب ، سوى طالب همس في تردد ، وعلى استحياء : أعتقد أنها أسبانيا الحالية ! وحاولت أن أرفده ببعض الجمل عن الأندلس مشجعا ليسترسل في الإجابة . ولكنه توقف ، ولم يواصل ، فعرفت أن هذا كل ما يعرفه الطالب عن الأندلس ، وأعدت السؤال . مرة أخرى ، عليّ أجد جواباً ، فلم أر من مجيب . وراح الطلاب ينظرون إلي في دهشة كأنهم يسمعون السؤال للمرة الأولى في حياتهم ، وكأنهم لم يمروا على مثل السؤال في المرحلة الثانوية ، أو لم يصل إلى مسامعهم من وسائل الإعلام العربية .

يا للكارثة ! جيل كامل ، وربما سبقته أجيال لم يسمع بالأندلس ولم يقرأ عنها في كتب الأدب ، ولم يلم بحضارة العرب فيها ، وكيف خاضوا البحار واعتلوا ظهور الأمواج ، واقتحموا شبه جزيرة أيبيريا فاتحين ، ليقيموا حضارة قوية كانت ملء السمع والبصر .

شعرت بتقصيرنا في حق هذا الجيل ، ولم نوفه حقه ، إذ من الواجب أن يعرف أبعاد هذه الحضارة العريقة في الأندلس الرطيب والأسس التي قامت عليها ومعالم هذه النهضة المزدهرة ، وأثرها على الغرب والعالم كله ، وكيف ضاع هذا الفردوس ؟

وعبر هذه السطور أعطي موجزًا عن هذه الأندلس وحضارته ، وما كانت عليه الحياة العربية آنذاك ، على ما أكتبه يقدم معلومات تنفع من يقرأ ، وأكون قد أدبت ما عليّ من واجب البصرة والتعريف بماض نسيناه ، ويجب ألا ننساه وأن يظل حاضرًا في ذاكرتنا ، نأخذ منه العبر ، ونطيل فيه النظر ، علنا نستبين الرشد ، ونتلمس موضع خطانا فلا نضل في طريق الحضارة ، فلا نضيع في دروب الحياة .

## تاريخ الأندلس

مرحلة ما قبل فتح الأندلس:

وصل المسلمون إلى المغرب الأقصى (مملكة المغرب الحالية) لمواجهة لشبته جزيرة أيبيريا ، أو كما تسمى قديماً الأندلس. وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ). بقيادة القائد حسان بن النعمان ، والي أفريقيا وفتحها ، عام (٨٥هـ). وجاء من بعده موسى بن نصير 'ذي توجه من مصر إلى القيروان مكملًا ما بدأه سابقه .

وقام موسى بمجهود كبير في تثبيت دعائم الدين الإسلامي في سكان الشمال الأفريقي (البربر) وحرص جاهدا على تقوية البحرية الإسلامية. متخذا من القيروان قاعدة ينطلق منها الجنود الفاتحون ، فدخل كثير من البربر في الإسلام وأصبحوا فيما بعد ركيزة اعتمد عليها القائد العربي طارق بن زياد في فتوحاته ومعاركه .

استولى المسلمون على طنجة ذات الموقع المهم بين القارتين الأوروبية والأفريقية عام (٥٨٩/٧٠٨م). وحولها موسى بن نصير إلى مركز عسكري لتموين الحملات باتجاه المناطق المجاورة.

## الفتح الإسلامي للأندلس

أرسل موسى بن نصير القائد الشاب طارق بن زياد من طنجة مع جيش صغير من البربر والعرب ، عبر المضيق الذي سمي على اسمه، فهزم القوط الغربيين وقتل ملكهم لذريق (Roderic or Rodrigo) في معركة جوادالبيتى. أو معركة وادى برباط في عام ٩٢ هـ .

وظلت الأندلس بعد ذلك خاضعة للخلافة الأموية كإحدى الولايات الرئيسية إلى أن سقطت الخلافة الأموية سنة (١٣٢هـ)، واتجه العباسيون إلى استئصال الأمويين. وتمكن عبد الرحمن بن معاوية -عبد الرحمن الداخل- أن يفلت من قبضة العباسيين، فهرب إلى أخواله في الشمال الإفريقي، وأقام عندهم فترة من الزمن، ثم فكر في دخول الأندلس لابتعد عن العباسيين. فراسل الأمويين في الأندلس.

بحلول عام ٧١٨ استولى المسلمون على معظم أيبيريا .

### التوسع الإصلاحي

واصل المسلمون التوسع بعد السيطرة على معظم أيبيريا لينتقلوا شمالاً عبر جبال البرنبيه حتى وصلوا وسط فرنسا وغرب سويسرا.

### حكام الأندلس الأمويين هم بالتّرتيب:

- عبد الرحمن الداخل الملقب (صقر قريش) - حتى عام ١٧٢ هجرية.
- هشام الأول بن عبد الرحمن - من عام ١٧٢ إلى عام ١٨٠ هجرية.
- الحكم بن هشام - من عام ١٨٠ إلى عام ٢٠٦ هجرية.
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام - من عام ٢٠١ إلى عام ٢٢٨ هجرية.

- محمد بن عبد الرحمن - من عام ٢٢٨ إلى عام ٢٧٣ هجرية.
- المنذر بن محمد - من عام ٢٢٨ إلى عام ٢٧٥ هجرية.
- عبد الله بن محمد - من عام ٢٧٥ إلى عام ٣٠٠ هجرية.
- عبد الرحمن الثالث الناصر - من عام ٣٠٠ إلى عام ٣٥٠ هجرية.
- الحكم بن عبد الرحمن - من عام ٣٥٠ إلى عام ٣٦٦ هجرية.
- هشام الثاني بن الحكم - من عام ٣٦٦ إلى عام ٣٩٩.

### ملوك الطوائف: الألس في القرن الخامس الهجري

بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس عام (٤٢٢هـ) عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليتجه كل واحد منهم إلى بناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته، ويؤسس أسرة حاكمة من أهله ونويعه، وبلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة أهمها:

- بنو عباد بإشبيلية (٤١٤هـ - ٤٨٤هـ).
- بنو جهور في قرطبة (٤٢٢هـ - ٤٤٩هـ).
- بنو حمود بمالقة (٤٠٧هـ - ٤٤٩هـ).
- بنو زيري بغرناطة (٤٠٣هـ - ٤٨٣هـ).
- بنو هود بسرقسطة (٤١٠هـ - ٥٣٦هـ).
- بنو رزين بالسهلة (٤٠٢هـ - ٤٩٧هـ).
- بنو نبي التون بمليطلة (٤٠٠هـ - ٤٧٨هـ).
- بنو الأفضس في بطليوس (٤١٣هـ - ٤٨٧هـ).

• بنوعا مرفى بلنسية ١٠١٦-١٠٨٥ م.

## دولتا المرابطين والموحدين

بسبب ضعف دول الطوائف عن الدفاع عن التراب الأندلسي ضد الهجوم الأسباني وسقوط طليطلة في أيدي الأسبان، طلب الأندلسيون المعونة من قائد المرابطين في المغرب الأمير يوسف بن تاشفين أن يهب لمساعدة الأندلس وانتهت مساعدته بهزيمة كاسحة للأسبان في موقعة الزلاقة واستعادة بعض المدن لكنه فشل في استعادة طليطلة والقضاء على ملوك الطوائف وأصبحت الأندلس تابعة لدولة المرابطين في الأندلس الذين دافعوا عن الأندلس ضد الأسبان في عدة مواقع إلا أنهم فشلوا في الدفاع عن سرقسطة بقيام الثورة في المغرب بقيادة الموحدين وانهيار دولة المرابطون تحولت تبعية الأندلس إلى الموحدين الذين حملوا راية الدفاع عن الأندلس في عدة مواقع أشهرها معركة الأرك ولكن جيوش الموحدين ما لبثت أن هزمت في موقعة العقاب على الرغم من ضخامتها وكبرها مما تسبب في انهيار دولة الموحدين نهائيا ومع انهيار الحكم الموحد في الأندلس بدأت مرحلة جديدة من الانهيار في الأندلس.

بدايات الضعف في الأندلس :

يرى المؤرخون الأسبان أنه في ٧١٨ بدأ ضعف الأندلس وذلك في معركة كوفادونجا أو مغارة دونجا وفيها انهزم ابن علقمي اللخمي شرهزيمة من قوات "بلايه"، وانتهت بتأسيس أولى الإمارات الفرنجية في شمال الأندلس [١].

## معركة بلاط الشهداء :

جمع عبد الرحمن الغافقي جيشه وخرج باحتفال مهيب ليعبر جبال البرانس واتجه شرقاً ليضلل المسيحيين عن وجهته الحقيقية، فأخضع مدينة "أرل" التي خرجت عن طاعة المسلمين، ثم اتجه إلى "دوقية"، فانتصر على الدوق انتصاراً حاسماً، ومضى الغافقي في طريقه متتبِعاً مجرى نهر "الجارون" فاحتل "بردال" واندفع شمالاً ووصل إلى مدينة "بواتييه". في بداية غزو جنوب فرنسا. ثم هُزم المسلمون أمام شارل مارتل وقتل قائدهم وأوقفت هذه الهزيمة الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وحفظت المسيحية كديانة سائدة فيها.

## الاستيلاء على طليطلة :

بعد أن ظلت الدولة الإسلامية في الأندلس بضعا من الزمن متماسكة موحدة بدأت تقام ممالك فرنجية في شمال إسبانيا المحررة مثل ممالك "قشتالة" و"أراجون" و"مملكة ليون" و"الباسك" قامت دولة بني ذو النون في "توليدو" (طليطلة) وبدأ صراع مع ملك "سرقسطة" ابن هود ولجأ الطرفان يطلبان مساعدة ملوك إسبانيا المسيحيين وكان هؤلاء يساعدون المسلمين علي بعض مقابل الحصول علي مال أو قلاع أو أراض أو مدن واستمر نزاعهما وبعد فترة صراعات بين البيت القشتالي انتهى بوحدة مملكتي قشتالة وليون تحت صولجان "الملك الفونسو السادس" وبعد أن استتب له الأمر فرض الحصار علي "توليدو" في ١٠٨٤ ولم يقم أحد بمساعدة إخوانهم المسلمين إلا المتوكل ابن الأفطس الذي أرسل جيشا كبيرا لنجدة توليدو لكنه تعرض لإنزيمة ساحقة ماحقة من الجيش المسيحي واستمر الحصار ٩ شهور إلى أن استبد الجوع بالناس ولم تفلح محاولات المسلمين الوصول

لتسوية ، ولم يرض الفونسو سوي بتسلم المدينة كاملة وفعلا تم ذلك في ١٠٨٥ وتوجه إلى المسجد الكبير الذي حوله إلى كاتدرائية وصلي فيه قداس الشكروصارت العاصمة لمملكة قشتالة الفرنجية وتم استردادها وتم منح المسلمين كافة الحرية لمغادرة المدينة أو البقاء فيها وحرية التصرف في أملاكهم.

نهاية الممالك الإسلامية في الأندلس :

انتفض المسيحيون لإرجاع أرضهم وتحريرها من المسلمين ، فسقطت قرطبة عام ١٢٣٦ ، وأشبيلية عام ١٢٤٨ وكان هذا بداية النهاية بسقوط دولة بني الأحمر في غرناطة سنة ١٤٩٢ اتحدت مملكة ليون وقشتالة مع مملكة أراجون واستطاع الملك فيرنانديو والملكة إيزابيلا، استرجاع الممالك العربية في الأندلس الواحدة تلو الأخرى إلى أن سقطت في أيديهم غرناطة آخر قواعد المسلمين سنة ١٤٩٢.

ما بعد السقوط :

وبدأت محاكم التفتيش في التعذيب والقتل والنفي وبدأت هنا معاناة أهل الأندلس من المسلمين ومن اليهود فقد كانت محاكم التفتيش تجبرهم على التنصير أو الموت وقد تمسك أهل الأندلس بالإسلام ورفضوا الاندماج مع المجتمع النصراني وحسب الرواية القشتالية الرسمية، لم يُبد الأندلسيون رغبة في الاندماج في المجتمع النصراني وبقوا في معزل عنه، يقومون بشعائرهم الإسلامية ويدافعون عنها بكل تفان. وحتى لا يصطدموا بمحاكم التفتيش لجئوا إلى ممارسة التقية فأظهروا النصرانية وأخفوا الإسلام، فكانوا يصلون ويصومون... كل ذلك خفية. عن أعين الوشاة والمحققين.

وهكذا ضاع فردوس الأندلس:

ولنلق نظرة على حياة الأندلس المترفة ، وما كان فيها من رخاء وازدهار

وحضارة ومظاهر نعمة وعيش رغيد :

### من الناحية الاجتماعية:

أفتن الناس في أنواع الطعام والغناء والطرب، وانشغلوا عن الاستعداد للجهاد، وكان من سن فيهم هذه السنة "زرياب" فأشغل الناس بابتكاراته في عالم الطعام واللباس، فلكل فصل نوع من الطعام واللباس. ولكل مجلس آداب وتقاليد ولكل حفلة طرب وغناء (وموسيقا) بمختلف الألحان. ولقد تصدى العلماء لمحاربة الترف والإسراف.

### من الناحية الاقتصادية:

ضمت الزراعة نمواً مزدهراً، فتنوعت أشجار الفواكه والمزروعات من قصب السكر والأرز والزيتون والكتان، وأوجد مزارع خاصة لتربية دودة القز. كما نظم أقنية الري وأساليب جر المياه، وجعل تقويمًا للزراعة لكل موسم (ومنها انتقلت الزراعة إلى أوروبا). وفي الصناعة جعلت المناجم، وطور أنواعها، الذهب والرحام والفضة والرصاص والنحاس، وتطويرت صناعة الجلود، ومراكز خاصة لصناعة السفن والاتها، وصناعة الزيتون والأدوية، وفي زمنه ظهرت الأسواق الخاصة للبضائع فهناك سوق للنحاسين، وسوق للزهور والشحوم وسوق للزيتون.

## من الناحية الثقافية:

إن الأشياء الداخلية من قصر الحمراء في إسبانيا مزينة بتصاميم الزخرفة العربية.

صارت قرطبة مركزاً للعلوم والآداب، وانتشرت الثقافة وكثر الإنتاج العلمي وشاعت المعرفة، وبلغ عدد الكتب "٤٠٠٠٠٠" كتاب في مكتبة واحدة هي (مكتبة الحكم)، وبلغ عدد المكتبات "٧٠" مكتبة. ووضعت لها فهارس دقيقة وتصانيف عديدة، كما ظهر النساخون الذين كانوا يقومون بدور المطابع في عصرنا وظهر المجتهدون لتجليد الكتب والعناية بها وحفظها، وكان "عبد الرحمن الناصر" يُعرف بحبه للعلم والعلماء، وكان من أشهر العلماء القاضي عبد الله محمد بن محمد الذي أخذ العلم من مائتين وثلاثين شيخاً، كما ظهر القاسم بن الدباغ الذي نقل العلم عن مائتين وستة وثلاثين شيخاً، ولم يكتف بما أخذ من الأندلس بل سافر إلى المشرق لينهل من علومه، وكان من بين العلماء الأندلسيين الذين قدموا المشرق الإسلامي. وبرز ابن عطية في التفسير، كما اشتهر في الفقه: الباجي وابن وضاح وابن عبد البر، وابن عاصم والمنذر بن سعيد في الفقه والحديث، وظهر بالفلسفة ابن رشد وابن مسرة القرطبي وبرز في اللغة ابن سيده صاحب المعجم، وأبو علي القالي صاحب الأمالي الذي تلقى تعليمه في بغداد ثم رحل إلى الأندلس فبلغ في هذه اللغة شأناً بعيداً هناك، وكتب ابن قوطية في التاريخ، وبرز فيها شعراء كثيرون مثل:

### ابن هاني الأندلسي :

الشاعر الرقيق ومتنبي المغرب هو ابن هاني الأندلسي أو أبو القاسم محمد بن هاني بن سعدون الأزدي الأندلسي (يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة) الملقب

بمتنبي الغرب لأنه كان أشعر شعراء المغرب العربي على الإطلاق (وهو معاصر للمتنبي). ولد أبوه هاني بقرية من قرى المهديّة بإفريقية (نونس حالياً) وكان شاعراً أديباً فانتقل إلى الأندلس. ولد ابن هاني بأشبيلية ونشأ بها وتعلم بها الشعر والأدب، واتصل بصاحب أشبيلية وحظي عنده. واتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة وفي شعره نزعة إسماعيلية بارزة، فخرج إلى البلاد المغربية، ونمي خبره إلى المعز الفاطمي فاستدعاه، فلما انتهى إليه وأقام عنده في المنصورية بقرب القيروان، بالغ في مدحه بغرر المدائح وُثِب الشعر. كما امتدح أيضاً جوهر الصقلي، الذي فتح مصر للمعز، وتوفي في رجب ٢٦٢ هـ، وقيل أنه وُجد في سائبة من سواني بركة مخنوقاً بئكة سراويله ولما وصل خبر وفاته للمعز وهو بمصر تأسف عليه وقال: "هذا الرجل، كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق، فلم يُقدّر لنا ذلك." [١] **قيل فيه:**

إن تكن فارساً فكن كعلي      أو تكن شاعراً فكن كابن هاني  
كل من بدعي بما ليس فيه      كذبتّه شواهدُ الامتحان  
وقيل إنه ذو قريحة شاعرية، ويجمع في شعره بين شجاعة المتنبي وتعبير أبي تمام ومعاني البحري وفلسفة المعري فهو شاعر غربي أندلسي حذا حذو شعراء الشرق لذا فهو شاعر متفرد تتجلى فيه المقدرة الشعرية والصناعة اللفظية الفائقة.  
**ومن شعره:**

ولم أرى شيئاً مثل وصلِ أحبّتي  
شفاءً ولكن كان بُرؤك لي أشفى

وكيف أتراكسي فيك بنياً ولوغة  
ولم تترك رحماً لقومي ولا عفا  
أمنت بك الأيام وهي مخوفة  
ولو بيدك الخلد أمنتني الحقا

وبقول في المديح :

هذا الشفيغ لأمة يأتي بها

وجؤده لجؤودها شفاء

هذا أمين الله بين عباده

وبلاده إن عدت الأمناء

هذا الذي عطفت عليه مكة

وشعابها و الركن والبطحاء

هذا الأغر الأزهر المتألق الم

تذوق المت بلج الوضاء

فعلبه من سبيما النبي دلالة

وعليه من نور الإله بهاء

وبقول مكفولا :

(صائب بن يثوب إلى لقاء مذيبه)

يستعذب الألام من تعذبه  
فجرت مدامعه بشرح غريبه  
والقلب يدفع قلبه بوجيبه  
كيف انتفاع جسمنا بقلوبه  
خوط يمس على ارتجاج كئيبه  
ودبوره و شماله وجنوبه  
وأمانته بطوعه وغروبه  
وذروا تراب المسك فوق تريبه  
والنفس سكرى من توضع طيبه  
ألت علي أنينه بكروبه  
ألتك صرقاً عن علاج طبيبه  
قلب المحب المحض نكر حبيبه

صب يذوب إلى لقاء مذيبه  
عمى هواه عن الوشاة مكتماً  
كم لائم والسمع يدفع لومه  
ملك القلوب هو الحسان فقل لنا  
وبم السلو إذا بدا لي مثمراً  
والشوق يزخر بخره بقبوله  
وبنفس القمر الذي أحيا الهوى  
قرتوا بورد الخد عقرب صدغه  
والعين حيرى من تالق نوره  
في طرفه مرض، ملاحظته التي  
أعيا للطبيب علاجه ، يا سحره  
إني لأنكره إذا أنسى الوعى

لسان الدين بن الخطيب الشاعر المؤرخ الطبيب ، ذو الوزارتين:

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب شاعر

وكاتب ومؤرخ وفيلسوف وطبيب وسياسي من الأندلس .

• ولد في فاس عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م .

• انتقلت العائلة إلى غرناطة حيث دخل والده في خدمة السلطان أبي

الحجاج يوسف، وفي غرناطة درس لسان الدين الطب والفلسفة والشريعة

والأدب.

ولما قتل والده سنة ٧٤١ هـ في معركة طريف كان مترجماً في الثامنة والعشرين، فحل مكان أبيه في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجيَّاب. ثم توفي هذا الأخير بالطاعون الجارف، فتولى لسان الدين منصب الوزارة.

ولما قتل أبو الحجاج يوسف سنة ٧٥٥ هـ وانتقل الملك إلى ولده الغني بالله محمد استمر الحاجب رضوان في رئاسة الوزارة وبقي ابن الخطيب وزيراً.

ثم وقعت الفتنة في رمضان من سنة ٧٦٠ هـ، فقتل الحاجب رضوان وأقصى الغني بالله الذي انتقل إلى المغرب وتبعه ابن الخطيب وبعد عامين استعاد الغني بالله الملك وأعاد ابن الخطيب إلى منصبه. ولكن الحساد، وفي طليعتهم ابن زمرك أوقعوا بين الملك وابن الخطيب الذي نفي إلى المغرب حيث مات قتلاً سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م.

برع في الشعر، وتميز أسلوبه بالرصانة وجمال الصياغة، ونُقِشت أشعاره على حوائط قصر الحمراء بغرناطة.

ومن شعره :

الصبر إلقى هـواك حميد  
الخطيب صعب والمرام بعيد  
يا أيها القمر الحجازي الذي  
تجلى بغرته السدياجي السود  
وحدث شخصك في القواد لعله  
ينجيه من نار الجوى للتوحيد  
وجعلت حباك مذهباً وشريعة  
قلدته يا حبذا التلويد

إن نالبت الشهداء جنات العلى  
ولهـم نعيم عندها وخلود

فلقد شهدت بأن قريبك جنّة

حقا وإنني بالغرام شهيد

يامن تشابه منه في ضعف القوى

خصر وطرف ساحر وعهود

جسمي ولحظك في السقام تشا، كا

والله يعلم أينما المفزود

إن كنت تنكر ما ألقى في الهوى

فالوجه قاض والدموع شهود

أصبحت في شغل بحبك شاغل

لا العذل ينهاني ولا التقويد

لا العذل ينهاني ولا التقويد

تهفو الصبا سحرا فأستجفي الصبا

وأغص بالسلسال وهو برود

وأميل عن ظل الأراكاة ضاحيا

ورواقها رحب الجناب مديد

يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ

للمع جئت به عساك تعود

تسري نواسمك اللدان بليانة

فيهزني شوق إليك شديد  
كم ساعة للأدس فيك قضيتها  
من نالها ما فاته مقصود  
ومجاذب ثني الذؤابة عابث  
تهفو بخوطته الصبا فيميد  
السقم ميثوث على لحظاته  
والسحر في أجفانه مقصود  
نالتمه وشريت فضل مدامه  
واللحظ من أكواسه معدود  
ولتسد هممت بأن أروي غلة  
لجيمها بسين الضلوع وقود  
للكتم باب مرتج مسدود  
كم لؤلؤ نثر الحديث عقوده  
نظمت لشم الود منه عقود  
ولفن تحامنا الرقيب فلم يرم  
عنا رقيب للعفاف عتيد  
لولا هواك أيا أبا الشرف الرضا  
ما كان عندي للوجود وجود  
إيه عميد الوحي غير مدافع  
قلبي بما يلقاه منك عميد

إن بنت فاسم لي برجع تحية  
أو غبت فابعت بالخيال يعود  
يا ابن الكرام الهاشميين الألى  
الباس طوع بنانهم والجدود  
رفقا على مهج تملكها الهوى  
فالرفق من أخلاقكم معدود  
ولاك سلطان الجموت نفوسنا

فاحكم بما ترضى فنحن عبيد  
ولا يذكر العصر الأندلسي إلا وتذكر معه الموشحات ، ذلك الفن الذي  
يعكس حالة الرخاء ورغد العيش وما يكتنف المجتمع من دعة ورفاهية فهو نظام  
شعري متنوع فيه القافية ، ويتغير فيه الشكل بين الغصن والقفل والخرجة ، وما  
يتضمنه من زينة لفظية تعكس حال البيئة الأندلسية التي كانت ترفل في وشي من  
النعى والدعة .

**وعن تسمية الموشح بهذا الاسم :**

فالموشح مشتق من كلمة وشح أي زين ، وسميت بالموشحات لما فيها من  
تزيين وتنميق وتناظر وصنعة فكانت منهم شهوة بوشاح المرأة المرصع باللؤلؤ والجواهر

**وعن بناء الموشح:**

❖ تختلف الموشحات عن القصائد العربية من حيث البناء إذ يتألف  
الموشح من أجزاء مختلفة اصطلاح النقاد على وضع تسميات لها ،  
وهذه الأجزاء هي:

❖ المطلع .

❖ القفل .

❖ الدور .

❖ السمط .

❖ الغصن .

❖ البيت .

❖ الخرجة .

ومن الوشاحين الأندلسيين المشهورين :

ابن سهل الأشبيلي، ابن بقي الأعمى التطيلي ، لسان الدين بن الخطيب  
عبادة بن ماء السماء ، ابن سناء الملك ، ابن زهر ، محيي الدين بن العربي ، وغيرهم  
من الوشاحين .

ولهذا نزوج طوشحة، لابن سهل الأشبيلي، بقول:

هل ترى ظبي الحمى أن قد حمى      قلب صب حله عن مكنس؟  
إني لأنكره إذا أنسى الوغى      قلب المحب المحض نكر حبيبه

فهو في حر وخفق متلما  
لعبت ريح الصبا بالقبس

\*\*\*

يا بدورا أطلعت يوم النوى  
غرورا تسلك في نهج الغرر  
ما لعيني وحدها ذنب الهوى

منكم الحسن ومن عيني النظر  
أجتني بالذات مكره الجوى  
والتذادي من حبيبي بالفكر  
وإذا أشكوه وجدى بسما كالربي و العارض المنجس  
وإذ يقيم القطر فيها ماتما وهي من بهجتها في عرس  
من إذا أملى عليه حرقى  
طارحتني مقاتاه الدنقا  
تركبت الحاظه من رمقى  
أثر النمل على صم الصفا  
وأنا أشكره فيمما بقى  
لست ألقاه على ما أتلفا

\*\*\*

وهو عندي عادل إن ظلما ونصحي نطقه كالحرص  
ليس لي في الأمر حكم بعد ما حل من نفسي محل النفس

\*\*\*

غالب لي غالب بالتوده  
بأبي أفديه من جاف رقيق  
ما علمنا قبل ثغر نضده  
أقحوانا عصرت منه رحيق  
أخذت عيناه منه العربده  
وفؤادي سكره ما إن يفيق

فاحم الامة معسول اللمى      ساحر الغنج شهى اللعس  
وجهه يتلو الضحى مبتسما      وهو من إعراضه في عبس

\*\*\*

أيها السائل عن جرمي عليه  
لي جزاء الذنب وهو المذنب  
أخذت شمس الضحى من وجنتيه  
مشرقا للشمس فيه مغرب  
ذهبت دمعى أشواقى إليه  
وله خذ باحظى مذهب

\*\*\*

ينبت الورد بغرسى كلما      لحظته مقلتي في الخلس  
ليت شعري أي شيء حرما      ذلك الورد على المغتسرس

\*\*\*

أنفت دمعى نار بي  
ضرامت انتظى في كل حين ماتشا  
هوى في خديه برد وسلام  
وهوى ضر وحريق في الحشا  
أتقى منه على حكم الغرام  
أسدا وردا وأهواه رشا

قلت لما أن تبدي معلما      لحدته مقلتي في الخلس

ليت شعري أي شيء حرما ذلك الورد على المغتسرس

وهو من الحافظه في حرس

أيها الأخذ قلبي مغنما

اجعل الوصل مكان الخمس

تأمل ما في الموشح من جمال تصوير ، وحلاوة صياغة ، وفصيح أسلوب .

ويا لجمال أندلسنا الذي ضاع !!!!!!!

ولهذا موشع آخر :

## زمان الوصل

### لسان الدين بن الخطيب

جاءك الغيث إذا الغيث همى      يا زمان الوصل بالأندلس  
لم يكن وصاك إلا حُلْمًا      في الكرى أو خُسة المختلس

\*\*\*\*\*

إذ يقود الدهرُ أشباتَ المنى  
ينقلُ الخطو على ما يرسمُ  
زُمرًا بين فرادى وتُنقى  
مثل ما يدعو الوفودَ المؤسمُ  
والحيا قد جَلَّ الروض سنا  
فتغور الزهورُ فيه تبسمُ

وروى النعمانُ عن ماء السَمَا      كيف يروي مالكٌ عن أنسٍ؟  
فكساه الحسنُ ثوبًا معلمًا      يزدهي منه بأبهى متيس

في ليلٍ كتمتُ سرَّ الهوى  
بالدُجى لولا شـموس الغرر  
مال نجمُ الكأس فيها وهوى  
مسـتقيم السـيرِ سـعد الأثرِ  
وطرٌّ ما فيه من عيبٍ سوى  
أنه مرَّ كـاج البـنـرِ

حين لذا الأفس شينا أو هجم الصبح هجوم الحرس  
غارت الشهب بنا أو ربما أشرت فينا عيون النرجس

أي شيء لا مري قد خلصا  
فيكون الروض قد مكن فيه  
تتهب الأزهار فيه الفرصا  
أمنت من مكره ما تنقيه  
فإذا الماء تتاجي والحصى  
وخللا كل خليل بأخيه

تبصر الورد غيورا برما يكتسي من غيظه ما يكتسي  
وترى الآس لبيبا فهما يسرق السمع بأذني فرس

يا أهيل الحي من وادي الغضا  
وبقلبي سسكن أنتم به  
ضاق عن وجدي بكم رخب القضا  
لا أبالي شرقه من غربه  
فأعيدوا عهد أنس قد مضى  
تعتقوا عنكم من كربه

\*\*\*\*\*

وانقوا الله وأحيوا مغرما يتلاشى نفسا في نفس  
حبس القلب عليكم كرما أفترضون غناء الحبس؟

\*\*\*\*\*

وبقـلبي منكمـو مقـتربـ  
بأحدِيث المنى وهو بعيد  
قـمـرٌ أطلـع منه المغـربـ  
شـقوة المغـربى به وهو سعيد  
قـد تـساوى محسنٌ أو مـذنبـ  
فـي هـواه بين وعـد وعـيد

ساحر المقلة معسول اللمى جال في النفس مجال النفس  
سدّد السهم فأصمى إذ رمى ففؤادي نهبه المفترس

\*\*\*\*\*

وكان للشاعرات الأندلسيات نصيب في هذه النهضة الشعرية ، فأدلت  
كثيرات منهن بدلوها ، وأخرجت لنا قصيداً عذب اللفظ ، جميل الصورة  
حلوا الصياغة من رقيق الحاشية ، ومن شواعر الأندلس :

- عائشة القرطبية .
- نزهون الغرناطية .
- حفصة بنت حمدون الحجازية .
- بثينة بنت المعتمد بن عباد .
- حسانة التميمية .
- مريم بنت يعقوب الأنصارية .

ومثلكن :

### الشاعرة حمدونة :

هي حمدونة بنت زياد المؤدب نشأت في وادي آش بالقرب من غرناطة ولقبت بشاعرة الأندلس وكان للبيئة والطبيعة التي نشأت فيها تأثيراً قوياً على أسلوبها في الشعر فقد رسمت أجمل الصور وهي تصف واديهما (وادي آش) الذي نشأت وترعرعت فيه وخلعت عليه من احساسها ومشاعرها الرقيقة أجمل ما يوصف به واد فتتخذ في وصف ذلك الوادي قائلة :

وقاننا لفحة الرمضاء وادي  
سقاء مضاعف الغيث العميم  
حللنا دوحه فحننا عايننا  
حنو المرضعات على القطيم  
وارشفتنا على ظمأ زلالاً  
الذم من المدامة للنديم  
يصد الشمس أنسى واجهتنا  
فيحجبها ويأذن للنسيم  
تروغ حصاه حاليه العذاري  
فتلمس جانب العقيد النظيم

وفي قصيدته أخرى تصف واديهما الجميل بالقول:

أباح الدمع أسرار بي وادي  
له للحسن أنوار بي وادي  
فمن نهر يطوق بكل روض

ومن روضٍ يرفُّ يَكُلُّ وادي  
ومن بين الضُّبَّاءِ مَهَاءُ أَنَسِ  
سَبَّتَ لُبِّي وَقَدِ مَأَكَّتْ قُوَادِي  
لَهَا لِحْظٌ تَرْقَدُهُ لِأَمْرِ  
وذاك الأَمْرُ يُمْنَعُنِي رُقَادِي  
إذا سَدَّكَتْ ذَوَائِبُهَا عَلَيْهَا  
رَأَيْتُ الْبَدْرَ فِي أَفْقِ السُّوَادِ  
كَأَنَّ الصَّبِيحَ مَاتَ لَهَا شَقِيحُ  
فَمَنْ حُزِنَ تَسْرِبِلُ بِالسُّوَادِ

### ولادته بنت المستكفي :

ولادة بنت المستكفي أميرة أندلسية وشاعرة عربية من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، ابنة الخليفة المستكفي بالله تعالى . اشتهرت بالفصاحة والشعر، وكان لها مجلس مشهور في قرطبة يؤمه الأعيان والشعراء ليتحدثوا في شؤون الشعر والأدب بعد زوال الخلافة الأموية في الأندلس.

- ولدت في قرطبة عام ٩٩٤ هـ / ١٠٩١ م

- كانت أمها جارية إسبانية اسمها سكرى وقد ورثت منها بشرتها البيضاء وشعرها الأصهب وعينيها الزرقاوين. وكانت تخالط الشعراء في زمانها وتجالسهم بل وتنافسهم.

- أحبها ابن زيدون وكتب فيها نونيته المشهورة .

- وقد عمرت عمراً طويلاً، ولم تتزوج .

ومن شعرها :

ألا هل لنا من بعد هذا التفريق  
سبيلٌ فيشكو كلَّ صيبٍ بما لقي  
وقد كنت أوقات التزاوير في الشتاء  
أبيتُ على جمرٍ من الشوق محرق  
فكيفاً وقد أمسيت في حال قطعة  
لقد عجل المقدر ما كنت أتقي  
تمرُّ الليالي لا أرى البين ينقضني  
ولا الصبر من رِقّ التشوق معتقي  
سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً  
بكلِّ سكوب هاطل الوابل مغدق

\*\*\*\*\*

وكما كان الأندلس يخص بالشعراء والأدباء ، فقد كان يموج بالعلماء  
والفلاسفة والمبدعين في شتى المجالات ، ومن هؤلاء العلماء البارزين .

**ابن رشد ( فيلحرف العرب )**

وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي وكنيته أبو الوليد  
" الحفيد " المولود في قرطبة عام ( ٥٢٠ - ٥٩٥ - 1198-1126م ، من أسرة عرفت بالعلم  
والجاه .

- وابن رشد ظاهرة علمية مسلمة متعددة التخصصات، فهو فقيه مالكي  
وقاضي القضاة في زمانه.

وقد برع في الطب تفوق على أساتذته حتى أن أساتذته ابن زهر قال عنه:

- "ابن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس".

- وهو فيلسوف عقلاني، ترجم أعمال أرسطو للمسلمين.

- وهو أيضا فلكي له أعمال فلكية جليلة.

- كما كان نحويا لغويا محدثاً بارعاً يحفظ شعر المتنبي.

أما سمائه وخلفه :

فقد كان متواضعا ، جم الأدب، حلو العشر، راسح العقيدة يحضر مجالس حلفاء الموحدين وعلى جبينه آثار ماء الوضوء .

وابن رشد من أهم فلاسفة الإسلام، فقد دافع عن الفلسفة وصحح أقوال علماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا والفارابي في فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسطو- عينه أبو يعقوب خليفة الموحدين عام ١١٨٢م طبيباً له ثم قاضياً في قرطبة، لكن الحكمة والسياسة وعزوف الخليفة الجديد أبو يوسف يعقوب المنصور (١١٩٨ - ١١٨٤) عن الفلسفة، بالإضافة إلى دسائس الأعداء والحاquدين جعل المنصور ينقلب على ابن رشد، قاضي القضاة وطبيبها الخاص ، ويتهمه مع ثلة من مبغضيه بالكفر والضلال ثم قام بحرق جميع مؤلفاته الفلسفية وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب، والفلك، والحساب.

وبعدها عاد الخليفة فرضي عن أبي الموليد ابن رشد وألحقه ببلاطه، حتى

توفي في عام ١١٩٨م في مراكش.

## علي بن حزم الأندلسي

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي والأصح أنه عربي من أكبر علماء الأندلس . ولد في قرطبة عام ٢٨٤ هـ وهو إمام حافظ . فقيه ، ومتكلم ، أديب ، وشاعر ، وناقد محلل ، بل وصفه البعض بالفيلسوف .

- عمل وزيراً لبني أمية ، قامت عليه جماعة من المالكية وشُرد عن وطنه . توفي سنة ١٠٦٤ م ، في منزله في أرض أبيه .

كان ابن القيم شديد التبع لآثار وكتب ابن حزم ، وكان يصفه بمنجنيق العرب ، أو بمنجنيق الغرب . وكانت الناس تضرب المثل في لسان ابن حزم ، فقيل عنه :

« سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان » ، فلقد كان ابن حزم يبسط لسانه في علماء الأمة وخاصة خلال مناظراته مع المالكية في الأندلس ، وهذه الحدة أورتت نفوساً في قلوب كثير من العلماء عن ابن حزم وعلمه ومؤلفاته ، وكثر أعداؤه في الأندلس ، واستنماعوا أن يؤلبوا عليه المعتضد بن عباد أمير أشبيلية ، فأصدر قراراً بهدم دوره ومصادرة أمواله وحرق كتبه ، وفرض عليه ألا يغادر بلدة أجداده وألا يفتي أحد بمذهب مالك أو غيره ، كما توعد من يدخل إليه بالعقوبة ، وهناك توفي ولما فعلوا ذلك بكتبه تألم كثيراً فقال وقد حرق مؤلفاته :

إن تحرقوا القرطاس لن تحرقوا الذي

تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يقيم معي حيث استقلت ركائبي

وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

• قال عنه ابن خلكان :

« كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متقناً في علوم جنّة عاملاً بعلمه زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة ، متواجداً فضاءً فضائل وتأليف كثيرة» .

• مؤلفاته :

- هو أكبر علماء الإسلام تصنيفاً وتأليفاً بعد الطبري - كتاب طويق الحمامة في الأدب ، وألف كتباً كثيرة في الفقه وفي أصوله ومنها :
- جوامع السيرة نشر عدة مرات .
  - رسالة في القراءات المشهورة في الأمصار .
  - رسالة أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد .
  - رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا .
  - رسالة جمل فتوح الإسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .
  - الإحكام في أصول الأحكام .
  - النبذة الكافية في أحكام أصول الدين وهو مختصر للأحكام .
  - مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات .
  - إبطال القياس والرأي والتقليد .

- رسالة ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل .

• حجج الوداع .

وبعد فهذه هي الأندلس وما كان فيها من حضارة وازدهار ، وقد ضاعت

فصارت حلما نسترجع ذكره بين الحين والحين ، ولم يبق منه إلا طيف يراوحننا .

رحم الله أيام الأندلس .